

## مفهوم الفضاء العمومي:

أخذ يورغن هابرماس (1929 -Jürgen Habermas) مفهوم الفضاء العمومي (espace public) عن كانط E.Kant الذي قال به وتم استعماله بكثرة في مجال التحليل السياسي منذ سبعينيات القرن الماضي، فهو الفضاء الواسع الذي تكوّن تاريخيا في زمن الأنواريين المجتمع المدني والدولة، إنه أيضا المكان المتاح مبدئيا لجميع المواطنين حيث بإمكانهم الاجتماع لتكوين رأي عام. لم يشرع الفكر النقدي في الفلسفة في تناول موضوع الفضاء العمومي كمبحث إلا في القرن التاسع عشر، جاء ذلك في خضم الاتجاهات التي ظهرت وتهم تحليل الهيمنة التي مارسها المؤسسات الرسمية في سعيها لبطش نفوذها عبر القول بمركزية سلطتها وشد الفرد إليها لأجل احتوائه.

كتاب " الفضاء العمومي: حفرة العمومية (publicité) كبعد مكون للمجتمع البورجوازي " هو موضوع أطروحة هابرماس في السوسيولوجيا بجامعة ماربورغ بألمانيا في 1961 [ii] ، عبارة عن دراسة لبنية ووظيفة النموذج الليبرالي للفضاء العمومي البورجوازي في أوروبا، يحلل فيه ظهور هذا النموذج وتحولاته التاريخية منذ العصر الهليني مرورا بالعصر الروماني حتى العصر الحديث، و يُبعد من الدراسة ما يسمى الفضاء العمومي العامي [iii] [Plébéien] الذي بقي مستترا مع مرور الزمن، وتفحص الدراسة أيضا المظاهر العامة للعناصر الليبرالية المكونة للرأي العام البورجوازي والتحويلات التي خضع لها في إطار الدولة الاجتماعية بأوروبا [iv] وهو مزيج من "فينومينولوجيا الروح" لهيجل F.Hegel والنقد الإيديولوجي الذي قام به ماركس K.Marx ، أبرز هابرماس من خلاله اغتراب الوعي الجماعي (هيجل) داخل الدعاية والتفكك البنيوي للسلطة (ماركس) [v].

يعرف هابرماس الفضاء العمومي البورجوازي كفضاء لأشخاص خاصين مجتمعين على شكل عموم، هؤلاء الأشخاص يدافعون عن هذا الفضاء العمومي المنظم من طرف السلطة، وهم في نفس الوقت ضدها، وذلك من أجل نقاش القواعد العامة للتبادل في ميدان تبادل السلع والعمل الاجتماعي ( المجال الذي بقي خاصا وأهميته ذات بعد عام )، وسيط هذا التعارض بين الفضاء العمومي والسلطة هو وسيط أصلي لا سابق تاريخيا، إنه الاستخدام العمومي للعقل أو:

مثلت العمومية عند كانط، السلطة الوحيدة القادرة على ضمان وحدة السياسة والأخلاق، ويعتبر الاستخدام العمومي للعقل بالنسبة إليه، شأننا خاصا للعلماء وبالخصوص العلماء الذين يقومون

[ من هذا المنطلق يرى كانط أن الاستخدام العمومي vii بإعداد مبادئ العقل الخالص أي الفلاسفة ]  
للعقل الخاص بنا يجب أن يكون حرا وهو الوحيد القادر على جلب الأنواريين الناس واستخدامه  
الخاص يجب أن يكون محدودا جدا، غير ذلك فإنه يؤدي إلى عرقلة الأنوار.

منحى آخر في فهم Francfort اتخذها برماس، كأبرز مفكري الجيل الثاني لمدرسة فر لكفورث  
[ و أنه viii "الأنوار" الذي تعتبر "الحدثة" مظهره الأساسي، معتبرا هاته الأخيرة "كمشروع لم ينجز"  
أسئ فهم الأنوار، مخالفا اتجاه الآباء الأو ل للمدرسة ( أدورنو وهوركهايمر...) باعتبارهم بأن ظهور  
الأنظمة التوتاليتارية في أوروبا النصف الأول من القرن العشرين كان من نتائج "حدثة الأنوار.

إن موضوع الفضاء العمومي هو "العموم" كحامل لرأي عام بوظيفة نقدية مسندة إليها صفة  
العمومية أي " عمومية النقاشات القانونية".

[ الذي ارتبط في أوروبا بالسلطة ix يميزها برماس بين نموذج الفضاء العمومي المهيكل تمثيلا ]  
الفيودالية والكنيسة والبلاط الملكي ونموذج الفضاء العمومي البورجوازي الذي ظهر بعد اختفاء  
الأول نتيجة للتحويلات البنوية التي عرفها، فقد وعت البورجوازية بذاتها بعد تشكلها كطبقة قائمة  
وعملت على تكوين استقلال خاص بها تجاه السلطة عن طريق تأسيس قواعد الحوار والمناقشة  
العامة، تجلى ذلك بشكل واضح في إنجلترا نهاية القرن السابع عشر الميلادي وفي فرنسا نهاية القرن  
الثامن عشر وقد انتقل النقاش العمومي إلى الصالونات والمقاهي ثم إلى النوادي الأدبية وما لبث أن  
استقر كأحد البنود الرئيسية في الدساتير الغربية.

رصد هابرماس في مؤلفه السابق الذكر، تطور مفهومي "العام" و "الخاص" منذ العصر الوسيط  
انطلاقا من التعاريف الواردة في القانون الروماني حتى نهاية القرن الثامن عشر الذي عرف تفكك  
الخيوط العريضة لتطور "العام" و "الخاص" عبر سيرورة الاستقطاب أدت إلى الانقسام إلى عناصر  
ذات بعد عام وأخرى ذات بعد خاص، فمع الإصلاح الديني في أوروبا، تحولت مثلا الكنيسة كسلطة  
دينية إلى قضية خاصة، فأصبحت حرية التدين لأول مرة جزءا من الحرية الشخصية وأصبحت  
الكنيسة كهيكل اجتماعي ضمن هياكل أخرى تدار بواسطة القانون العام كما فصلت "الميز لية  
[x العامة" عن ميز لية البلاط الملكي بعد أن كانت جزءا من مدخر له ]

تميزت فترة القرن الثالث عشر الميلادي ببداية الرأسمالية التجارية والمالية (الميركانتيلية)، حيث ظهرت عناصر جديدة للتبادل، تبادل السلع والمعلومات مشكلة بذلك عناصر نظام توغلت في النظام الاجتماعي، فتبادل المعلومات لم يكن مرتبطا بحاجيات التبادل السلعي فحسب، بل أن المعلومات أصبحت هي الأخرى سلعا لدرجة أن كل معلومة منقولة عن طريق الكتابة إلا ولها سعرها الخاص بها